﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المؤمنون: 88 - 89]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَيْنِ لِما قَبْلَهُما:

لَمّا ذَكَرَ اللّه تعالى الأرْضَ أوَّلًا والسَّماءَ ثانيًا عَمَّمَ الحُكْمَ هاهُنا، فقالَ ﴿مَنْ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾، فجاءت الآيات على التّدريج، فبعد أن تحقّقت في الآيتين السّابقتين الأدلّة على وحدانيَّة اللّه وأحقّيته بالعبادة والإيمان، جاءت هذه الآية لتختتم الكلام بأنَّ كلَّ شيء هو بيد اللّه وحده.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿مَلَكُوتُ﴾: (ملك) أصلٌ يدُلُّ على قوَّةٍ في الشَّيءِ وصِحَّة، يقالُ: أمْلَكَ عجينَه: قوّى عَجْنَهُ وشدَّه، وملّكْتُ الشّيءَ: قوّيتُه ومَلَكَ الإنسانُ الشَّيءَ يَمْلِكُهُ مَلْكًا، والاسْمُ المِلْكُ؛ لأنَّ يدَه فيه قويَّةٌ صحيحةٌ، فالمِلْكُ: مامُلِكَ من مال، والمملوكُ: العَبْدُ[1]، والمَلَكوتُ: عِظَمُ المُلك، وصيغةُ (فَعَلوت) من صفةِ المبالغة، نحو: جَبَروت، ورَحَموت، ورَهَبوت[2]، والمَلَكوتُ: مختَصٌّ بملكِ اللّهِ تعالى، وهو مصدرُ مَلَكَ، أُدخلَتْ فيه التّاء، قالَ تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: 75][3]، وقولُه تعالى: ﴿مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ أي: السَّماواتُ وما فوقَها وما بينَها، والأرَضون وما تحتَها وما بينَها، ومالا يعلمُه أحدٌ غيرُه ﷻ[4]، ويرادُ به كذلك: خزائنُ كُلِّ شيء[5].

2) ﴿يُجِيرُ﴾: و﴿يُجَارُ عَلَيْهِ﴾: (جور) أصْلٌ واحِدٌ، وهوَ المَيْلُ عَنِ الطَّريقِ، وأمّا الغَيْثُ الجوَرُّ، وهوَ الغَزيرُ، فشاذٌّ عَنِ الأصْلِ الَّذي أصَّلْناهُ، ويُمْكِنُ أنْ يَكونَ مِنْ بابٍ آخَرَ، وهوَ مِنَ الجيمِ والهَمْزَةِ والرّاءِ؛ فقَدْ ذَكَرَ ابْنُ السِّكّيتِ أنَّهُمْ يَقولونَ: (هوَ جُؤَرٌ) عَلَى وزْنِ (فُعَلٍ)،

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ملك).
(2) الجوهري، الصّحاح، وابن منظور، اللّسان: (ملك).
(3) الرّاغب، المفردات: (ملك).
(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 12/ 145.
(5) ابن جرير، جامع البيان: 18/ 49-48، والسُّيوطي، الدُّرُّ المنثور: 6/ 113.

فإنْ كانَ كَذا فهوَ مِنَ الجُؤارِ[1]، أجارَه يُجيرُه، واسْتجارَه من فلان، فأجارَه منه، وأجارَه اللّهُ من العذاب: أنْقذَه، ويقالُ: أجَرْتَ فلانًا إذا اسْتغاثَ بكَ فحَميْتَه، وأجَرْتَ عليه، إذا حَمَيتَ عنه مَنْ يَرومُه[2].

وقولُه تعالى: ﴿يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ أي: يمنعُ من السّوءِ مَنْ يشاء، ولا يمكنُ منعُ مَنْ أرادَه بسوءٍ منه[3].

ويمكنُ أن يكونَ المعنَى: يُؤَمِّنُ، ولا يُؤَمَّن عليه أحد[4].

ويمكنُ أن يكونَ المعنَى: يُجيرُ من عذابِه، ولا يُجيرُ عليه أحدٌ من عذابِه[5].

3) ﴿تُسْحَرُونَ﴾: (سحر) أُصولٌ ثَلاثَةٌ مُتَباينَةٌ: أحَدُها عُضْوٌ مِنَ الأعْضاءِ، والآخَرُ خَدْعٌ وشِبْهُهُ، والثّالِثُ وقْتٌ مِنَ الأوْقاتِ[6]، سَحَرَهُ يَسْحَرُهُ سِحْرًا، وسَحَرَهُ: خَدَعَه، والسِّحْرُ: الخِداعُ وتَخْييلاتٌ لا حقيقةَ لها، نحو ما يفعلُه المُشَعْبِذُ بصرفِ الأبصارِ عمّا يفعلُه لخفَّةِ يَد، وما يفعلُه النَّمّامُ بقولٍ مُزَخْرَفٍ عائقٍ للأسماع، وعلى ذلك قولُه تعالى: ﴿سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الأعراف: 116]، وقولُه تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ﴾ [طه: 66][7].

وقولُه تعالى: ﴿فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ أي: تُصرَفونَ عنِ الحقِّ وتُخدَعون[8]، أي: كيف يُخيَّلُ لكمُ الحقُّ باطلًا، والصَّحيحُ فاسدًا؟![9].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يخاطبُ اللّهُ ﷻ نبيَّه ﷺ، فيقولُ له: قل يا محمَّدُ ﷺ للمتكبِّرينَ عنِ الإيمانِ برسالتِك؛ مَنْ بيدِه السَّماواتُ والأرَضونَ وما فيهما وما تحتَهما وما بينَهما، وخزائنُ كلِّ شيء، وهو ﷻ يغيثُ غيرَه إذا شاءَ ويمنعُه، ولا يمنعُ أحدٌ أحدًا من عذابِ اللّه، ولا يقدرُ على نَصْرِه

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (جور).
(2) الأزهريّ، تهذيب اللُّغة، وابن منظور، اللّسان: (جور)، وابن سيده، المحكم: 7/ 376- 377.
(3) ابن جرير، جامع البيان: 18/ 490.
(4) مقاتل، تفسير مقاتل: 2/ 32.
(5) الزَّجّاج، معاني القرآن: 4/ 20.
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (سحر).
(7) الرّاغب، المفردات، والرّازي، مختار الصّحاح: (سحر).
(8) الفرّاء، معاني القرآن: 2/ 241، والزَّجّاج، معاني القرآن: 4/ 20، وابن قتيبة، غريب القرآن، ص: 229.
(9) ابن جرير، جامع البيان: 18/ 49.

وإغاثته؟!، وقلْ يا محمَّدُ ﷺ لهم: فكيف بعد ذلك كلِّه تُصرَفونَ عنِ الحقِّ وتُخدَعون، فيُخيَّلُ لكمُ الحقُّ باطلًا والصَّحيحُ فاسدًا، والخادعُ لهم: هو الشَّيطانُ أوِ الهوَى أو كلاهما[1].

خـــزائـــنُ كـــلِّ شيءٍ بيد الله، يُغيثُ غـيرَه ولا يغيثُ أحدٌ منه، فكيف تُصرفونَ عـــنِ الـحـــقِّ وتُخدَعون؟!

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغة الاستفهام المجازي:

الاستفهام في قوله تعالى ﴿مَنْ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ على معنى التقرير بقرينة أنَّ السّائل هو رسول الله ﷺ وهو أوّل المؤمنين، والمعنى تقرير الأمر على المخاطبين بإثبات المسند للمسند إليه في المعطوف والمعطوف عليه، أي إقرار أنَّ الله تعالى بيده ملكوت كلِّ شيءٍ وهو وحده يجير ولايجارُ عليه.

الاستفهام على معنى التّقرير

بلاغة القصر:

أفاد تقديم المسند على المسند إليه في قولِه: ﴿بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ قصر ملكوت كلِّ شيءٍ على قدرة الله تعالى، فيكون الاستفهام الذي هو بمعنى التّقرير على أمرين؛ أحدهما تقرير أن يكون ملكوت كلِّ شيءٍ بيد الله تعالى، والثّاني تخصيص هذا الملكوت بيد الله وقدرتِه، ففي الاستفهام المجازي إيجاز بديع.

إثـبـات ملكوت كـــلِّ شيء لله وتخصيصه بيده وقدرته سبحانه

نكتة التّعبير بلفظ ﴿مَلَكُوتُ﴾:

﴿مَلَكُوتُ﴾ صيغة مبالغة في المُلْك، فالواو والتاء للمبالغة مثل رحموت، وزيادة المبنى تدلُّ على زيادة المعنى، فالوصف منبئٌ عن عظم الملك وسعته وعمومه، والمَلَكوتُ هو غايةُ المُلْك أو ملكُ أقصى ما يمكن المُقْتَرِنُ بالتَّصَرُّفِ في مُخْتَلَفِ الأنْواعِ والعَوالِمِ، لِذَلِكَ جاءَ بَعْدَهُ ﴿كُلِّ شَىْءٍ﴾.

المَلَكوتُ وصف منبئٌ عن عظمِ الملكِ وسعتِه وعمومِه

دلالة لفظ ﴿كُلِّ﴾:

(كلٌّ) من ألفاظ العموم، فإذا أضيفت إلى (شيءٍ) الذي يعمُّ كلَّ

(1) ابن جرير، جامع البيان: 18/ 48- 49، والشَّوكاني، فتح القدير: 3/ 674- 675.

موجودٍ أفادت (كلّ) أعمَّ العامِّ، ليفيد تركيب ﴿كُلِّ شَيۡءٍ﴾ استغراق كلِّ المخلوقات.

مناسبة الإضافة في قوله ﴿مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٍ﴾:

لفظ (شَيءٍ) يعمُّ كلَّ الموجوداتِ

لمّا أضاف الملكوت إلى ﴿كُلِّ شَيۡءٍ﴾ دلَّ على عمومِ الملكوتِ ليشمل كلَّ مخلوقٍ، وعُدلَ عن أن يقال (ملكوت كلِّ مخلوقٍ) للمبالغة في العموم المناسب للسّياق، ولبلاغة النّظم، وللإيذانِ بأنَّ كلَّ شيءٍ هو مخلوق وهو في قبضتِه تعالى وتحتَ سلطانِه، فإنَّ لفظ ﴿شَيۡءٍ﴾ يعمُّ كلَّ الموجوداتِ.

بديع الجمع والتقسيم في الآية:

تفصيل الأدلَّة ثمَّ إجمالها بما يستغرقها ليقعَ التّسليمُ والإذعانُ

لمّا ذكر اللّه تعالى العوالم الأرضيَّة في قوله ﴿قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ ثمَّ ذكر العوالم السَّماويَّة في قوله ﴿قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ جمعها على طريق استغراق كل الملكوت فقال ﴿قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٍ﴾، فقسَّم أو فرّق ثم جمع، ونكتته تفصيل الأدلَّة ثمَّ إجمالها بما يستغرقها فيقع التّسليم ويتمكّن الإذعان في نفوس المخاطبين.

دلالة الواو في قوله ﴿وَهُوَ يُجِيرُ﴾:

تنوّع معنى الواو بين العطف والحاليَّة

تحتمل الواو أن تكون عاطفة، وهو الظّاهر لتفيد عطف ﴿وَهُوَ يُجِيرُ﴾ على ﴿بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٍ﴾، فيكون من عطف الجملة الاسمية على الجملة الاسميَّة، فيكون الاستفهام داخلًا على الجملتين، فالكلام بتقدير استفهامين؛ أي: (مَن بيده ملكوت كلِّ شيءٍ ومن هو يجير ولا يجار عليه)، ولمّا كان الجواب هو ﴿لِلَّهِۚ﴾ كان بتقدير: (للّه ملكوتُ كلِّ شيءٍ وهو الذي يُجيرُ ولا يُجارُ عليه)[1] فيفيد تعدّد الإقرار وتعدّد الأدلَّة على وحدانيَّة اللّه تعالى وعلى قدرته على البعثِ بعد المماتِ، ويحتمل أن تكون الواو حاليَّةً بمعنى: (مَن بِيَدِه

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 148.

ملكوت كلِّ شيءٍ في حالٍ هو يجير ولا يجار عليه)، ليفيد الحال إظهار سلطانِه وملكوتِه وإظهار قصر هذا الملكوت عليه سبحانه.

بلاغة الاستعارة:

ورد لفظا ﴿يُجِيرُ﴾ و﴿يُجَارُ﴾ في قوله ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ على طريق الاستعارة، فإنَّ المجاورة في الأصلِ هي المساكنة بأن يكون المسكن بجانب المسكن، فشبِّه الجار في السّكن بمن يُحمى ويمنع من أن يُمسَّ بسوء، فإنَّ حماية الجار من حقوق الجيرة عند العرب، فاستعملت الإجارة والمجاورة في الحماية والأمانِ وإن لم يكن المجارُ جارًا في السّكن بجامع حسنِ الرّعاية والاعتناء، فلمّا قال الله تعالى ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ أفاد أنَّه هو الذي يمنع ويعيذ ويغيث من يشاء ويحرسه فلا يعتدى على من يجيره، ولا أحدَ يُمنعُ منه ولا يغاث عليه سبحانه.

من كان في جيرة الله فلا يقدر عليه أحد

بديع الطباق في قوله ﴿يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾:

في التّركيب طباق السّلب بذكر﴿يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ وهما فعلانِ لمصدر واحد، والغرضُ من مجيء طباق السَّلب بيان أنَّ المراد مجموع المعنيين، فلا يكون الوصف على معنى الكمال إلّا بإثبات أنَّه تعالى هو الذي يجير ونفي أن يجارَ عليه.

كمال الوصف بإثبات أنَّه تعالى هو الذي يجير ونفي أن يجارَ عليه

فائدة حذف المفعول في قولِه ﴿وَهُوَ يُجِيرُ﴾:

حُذفَ المفعول لتنزيل الفعل منزلة اللّازم، بمعنى إثبات معنى الإجارة لله تعالى على الإطلاق من غير تعرّض لمفعول معيَّن ومن غيرِ نظر إلى أثر الإجارة، فيكون أبلغ في إثبات المعنى، والمعنى: من شأن الإجارة أن تكون مِنه، وهو المناسب للسّياق المنبئ عن أوصاف الله تعالى الدّالَّة على وحدانيَّته وعظيم قدرتِه، ولمّا نُزّلَ الفعلُ منزلة اللازم وكان الكلامُ موجَّهًا إلى المشركين أفاد أنَّهم بإشراكِهم بالله تعالى كانوا كمَن نَفَى أن يكونَ لله تعالى إجارةٌ بوجهٍ من الوجوه[1].

ربُّنا سبحانه يجير من يشاء ويمنع من يشاء

(1) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 155.

بلاغة القصر:

الـلـه تـعـالى لا غيره الذي يُجيرُ ولا يُجارُ عليه

لمّا كانت جملة ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ معطوفةً على ﴿بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ كان الكلام بتقدير: (مَنْ هو يجير ولا يجار عليه)، ليفيد الكلام التّخصيص بسبب مجيء المسند والمسند إليه معرفتين، وأفاد الضّمير (هوَ) تأكيد الحكم أي: هو لا غيره الذي يجير ولا يجار عليه.

دلالة (لا) في قوله ﴿وَلَا يُجَارُ﴾:

تفيد (لا) النّفي، ولمّا دخلت على الفعل المضارع أفادت هنا معنى استمرار النفي، لتفيد أنَّه لا يستطيع أحد أن يمنع أحدًا منه سبحانه، فهو صاحب العزَّة التّامة[1]، والقدرة المطلقة.

نكتة البناء للمفعول في ﴿يُجَارُ﴾:

جيء بالفعل على صيغة المبني للمفعول لقصد انتفاء الفعل عن كلِّ فاعل[2]، ولبيان أنَّ فاعل هذا الفعل معدوم لا وجود له، فأفادت هذه الصيغة العموم مع الاختصار في اللفظ.

سبب التعدية بحرف الجر (على):

تضمين الفعل معنى النّصرة والاستعلاء

لمّا كان الأصل في تعدية الفعل ﴿يُجَارُ﴾ أن يقال يجارُ أي يُجارُ هو، لأنّ الفعل متعدٍّ بنفسِه لا بواسطة حرف الجرِّ، فيقوم مفعوله مقام الفاعل، كانت تعدية الفعل بـ(على) في قوله ﴿وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ على خلاف مقتضى الظّاهر لقصد تضمين الفعل ﴿وَلَا يُجَارُ﴾ معنى النّصرة والاستعلاء، والمعنى لا ينصر عليه أحد، ولا يمكن لأحدٍ أبداً أن يجير جواراً يكون مستعلياً عليه[3]، فأفادت التّعدية تكثير المعنى مع وجاز اللفظ.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 18/ 112.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 18/ 112.
(3) البيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 94، وابن التمجيد، حاشية على تفسير البيضاوي: 13/ 216، والخطيب الشربيني، السراج المنير: 2/ 589، والآلوسي، روح المعاني: 9/ 258.

دلالة التّعبير بـ﴿إن﴾:

من أساليب القرآن في الحجاج التّهييجُ والإلهاب والحثُّ على الإقرارِ والإذعان

تفيد ﴿إن﴾الشّرطية في قوله ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ التّشكيك في علمِهم بأنَّ ملكوت كلِّ شيءٍ بيد الله، بعد التّشكيك في علمهم للاستهانة بهم وتوبيخهم لعدم انتفاعِهم بعقولِهم، إذ جهلوا الأمر البيّن الواضح وهو أنَّ ملكوت كلِّ شيءٍ بيد الله وأنَّه يجير ولايُجار عليه، ويأتي في هذا الأسلوب كما في سابقه أنَّه من أساليب الاحتجاج والتّهييج والإلهاب والحثِّ على الإقرارِ والتّسليم والإذعان، ولهذا أجاب عنهم في قولِه ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ لظهور الأمرِ ووضوحِه، وفيه دعوة للتّأمّل في ملكوت السّماوات والأرضِ، وأنَّ كلَّ ما في الوجود بيد الله وحده.

دلالة حذف المفعول:

أدنى العلم موصل إلى الإيمان بالله واليوم الآخر

حذف مفعول ﴿تَعْلَمُونَ﴾ في هذه الآية كذلك، لتأكيد التّشكيك في حصول العلم عندهم، ليفيد أنَّ من له أدنى علمٍ يؤمن بالله وبالبعثِ بعد المماتِ، ويحتمل أن يكون المفعول معلومًا وحذفَ بدلالة السّياق عليه، والتّقدير: (إن كنتم تعلمون مَنْ بيده ملكوت كلِّ شيءٍ ومن يجير ولا يجار عليه؟).

دلالة حذف جواب الشّرط:

حذف الجواب حملًا للمخاطب على الإذعان لظهور الجواب

حُذِفَ جواب الشّرط في قوله ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ كما في سابقه لدلالة الاستفهام عليه، وتقدير الكلام: (إن كنتم تعلمون شيئًا فأجيبوني عن السّؤال)، ليفد تقرير تجهيلِهم، وتقدَّم أنَّ حذف جواب الشّرط في مثل هذا الموضع يقصد به الاحتجاج على المخاطب لظهور الأمر ووضوح العلم به.

مناسبة الفصل:

الفصل في قوله ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ على طريق الاستئناف البيانيِّ، وبيانُه أنَّه لمّا قال الله تعالى ﴿قُل مَّنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ

﴿وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ اقتضى الكلامُ سؤالًا، وهو ماذا سيقولون؟، فقال ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾.

سرُّ الإجابة عن الكافرين:

ظـهـور حقيقة أنَّ كلَّ شيء لله وحده

جاء الكلام في قوله ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ على خلاف مقتضى الظّاهر، إذ أجاب عن الكافرين؛ للإشعار بأنَّه لاجوابَ سوى أنَّ يقولوا للّه ملكوت كلِّ شيءٍ، للتّنبيه على أنَّ هذا الأمرَ ممّا هو معلوم ببديهة العقل كما أنَّ الإجابةَ عنهم إلزامٌ لهم بما لايمكن إنكارُه، وفي الإجابة عنهم استهانة بهم كذلك، فمن لا يُؤبَه له يجابُ عنه.

دلالة مجيء السين:

تفيد السّين في قوله ﴿سَيَقُولُونَ﴾ أنَّ فعل القول سيقع قريبا، فلا يلبث الكافرون أن يقرّوا بأنَّ كلّ شيء بيد اللّه وأنَّه يجير ولا يجار عليه، فالأمر لا يحتاج إلى تأمّل، كما تفيد السّين تأكيد وقوع القول وتقريره.

نكتة التّعبير بضمير الجمع:

علم الله تعالى بما يعلن النّاس وما يعلنون

التعبير بضمير الجمع في قولِه ﴿سَيَقُولُونَ﴾ العائد على جميع الكافرين إعجاز لنبوّة سيّدنا محمَّد ﷺ، للإيذان بإقرارِهم جميعًا، فلو قال واحد منهم في وقت نزول الآية غير هذا القولِ لبطل إعجاز القرآن كما تقدَّم في الآية السابقة.

بلاغة الكناية:

الإقـــرار بملك الله تعالى لكلِّ شيء يقتضي الإقرار بالبعث والحساب

لمّا كان الكافرون قد أقرّوا في قوله ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ أنَّ ملكوت كلِّ شيءٍ بيد اللّه، أفاد بلازمِه على سبيل الكناية وجوبَ إقرارِهم أنَّه هو الملك الواحد الأحد وأنَّ خلقَهم ومماتَهم وإحياءَهم بيده لأنَّها كلَّها في ملكوتِه، فيفيد الكلام إرادة معنى الملزوم ولازمِه.

فائدة الفاء في قوله ﴿فَأَنَّىٰ﴾:

الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها، أي يترتب على علمهم

بأن الله تعالى خالق الأرض، ومن فيها والسَّماوات السَّبع، وربوبيَّته للعرش ولها، وكونه صاحب السُّلطان الأعظم، يترتَّب على هذا كلِّه أن يسألوا كيف يُسحرون، أي ينخدعون ويميلون عن الحقِّ الراكز في نفوسهم إلى الباطل الذي هو أوهام مخيَّلة، وليس حقائق ثابتة معلومة لكلِّ ذي فكر وعقل وإدراك[1].

ترتّب السّؤال على أدلّة الإقرار أدعى للإذعان

براعة التّعبير بالاستفهام المجازي:

معنى (أنَّى) كيف ومن أين، ففي هذا الاستفهام في قوله ﴿فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ﴾ جمع بين السّؤال عن الهيئة وعن الطريقة التي سحروا بها، ولمّا كان الاستفهام على معنى الإنكار المتولِّد منه التّقرير والتّوبيخ والتّبكيت، والتّعجيب من إنكارِهم البعثَ وتكذيبهم الحقَّ كان المعنى: فكيف بعد إقراركم بهذا كله تخدعون وتصرفون عن الحقِّ وكيف يخيّل لكم أنَّه باطل، ومن أين لكم أن تُخدعوا وتصرفوا عن الرّشد مع ظهور الأمر وتظافر الأدلَّة على كلِّ حقٍّ ولاسيَّما إمكان البعثِ، وقد أقررتم بما يلزم منه شمول العلم وتمام القدرة؟ ومن أين تتخيَّلون الحقَّ باطلاً، فإنَّ مَن لا يكونُ مسحوراً مختلَّ العقل لا يكونُ كذلك[2]، وفي الاستفهام المجازي استهجان للمخاطبين في نسبتِهم إلى الانخداع وتخيّل الباطل حقًّا، فكأنَّما غابوا عن رشدِهم وعقولِهم.

دلالة (أنَّى) على معنى كيف ومن أين

بلاغة الاستعارة في قوله ﴿تُسۡحَرُونَ﴾:

جاءت الاستعارة على معنى تشبيه ترويج الباطل بالسّحر بجامع تخيّل ما ليس بواقعٍ واقعًا[3]، أو على تشبيه الخديعة بالسّحر بجامع التّخليط، فحذف المشبَّه وذكر المشبَّه به بصيغة الفعل على طريق الاستعارة التّصريحيَّة التّبعيَّة، وهو في الأصلِ تشبيه لما وقع

المنخدع بالباطل بمثابة المسحور

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 10/ 5110.

(2) البيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 94، والبقاعي، نظم الدرر: 13/ 179، والخطيب الشربيني، السراج المنير: 2/ 589، والقونويّ، حاشيته على تفسير البيضاوي: 13/ 217.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 18/ 112.

منهم من التخليط ووضع الأفعال والأقوال غير مواضعها بما يقع من المسحور، فعُبِّرَ عنهم بذلك امتهانًا لهم وتوبيخًا وسخريَّةً من أفعالِهم واعتقادِهم[1].

سرُّ اختلاف جمل التّذييل في الآيات:

من بديع بلاغة القرآن مجيء كلّ تذييل في موضعه اللّائق به لفظًا ومعنى

للسّائل أن يسأل عن سبب اختلاف جمل التّذييل في الآيات، فقال مرَّةً ﴿قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ وقال بعدها ﴿قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ وقال في الآية الأخرى ﴿قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾؟، وبيانه أنَّه لمّا جاءَ السّياق على طريق التّرقّي في عظم المخلوقات ترقّى في التّذييل فجاء التّذييل الثّاني أقوى ممّا قبله وجاء التذّييل بقولِه ﴿فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ أشدَّ ممّا قبله، لأنَّ هذا أبلغ في الوعيد، وبيانه أنَّه جعل التَّوبيخ على سبيل التّدريج بحسب وضوح الحجَّة شيئًا فشيئًا، فوقف على الأرض ومن فيها وجعل بإزاء ذلك التَّذكُّر، فخصّت بالتَّذكّر، لأنَّهم إذا أثبتوا الخلق الأول لزمهم الخلق الثاني، ثمَّ وقف على السَّماواتِ السَّبْعِ، والعَرْشِ، وجعل بإزاء ذلك الحثَّ على التّقوى، فمن يملك هذه الأشياء من السّماوات السَّبع والأرض والعرش العظيم وأقررتم له بذلك، فلِمَ لا تجتنبون معصيته، ولا تتَّقون عقوبته، إذ كانت هذه الأجرام العظيمة لا تستغني عنه ساعة، فأنتم أحوج إلى أنْ تقوموا بحقّ ربوبيَّته لكم، فتمتنعوا بطاعته من موجب عقابه، فهذه لائقة بمكانها، حالّة في موضعها، فجاء التّذييل لِلحثِّ على التّقوى والوعيدِ على عدمها، أي أفلا تتَّقونَ، فلا تُشْرِكوا بِهِ بعض مخلوقاتِه ولاتنكروا قدرتَه على بعض مقدوراتِه، ثم وقف على ﴿مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ وفي الإقرار بهذا التزام بكلِّ ما تقع به الغلبة في الاحتجاج، فإذا أقرّوا بذلك قال لهم: ﴿فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ أي فكيف تخدعون عن

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 154، والقونويّ، حاشيته على تفسير البيضاوي: 13/ 217، والقاسمي، محاسن التأويل: 7/ 300.

عقولكم حتَّى تتَّخذوا الأوثان والأصنام آلهةً، وهي لا تسمع ولا تبصر مع القادر العليم الذي قد أقررتم له بأتمّ الملك، وبكلّ الخلق الذي يشهدكم، والذي يغيب عنكم، ومن أين يأتيكم ما يغلب على عقولكم فيخيِّل الباطلَ إليها حقًّا، والقبيح عندها حسنًا، فوقع التوبيخ بعد في غاية البلاغة، فكلٌّ جاء في مكانه اللائق به[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الحفظ والحماية والجوار:

الإجـــارة فيها معـنـى الـقـوّة والمنعة والإغاثة والنّصرة وتتعلّق بالأشخاص

الحفظ يدلُّ على التَّعهّد والرّعاية وعدم الغفلة، فالحافظ للشّيء لا يضيع منه الشّيءُ ولا يتفلّت وهو مهيمن عليه، والحماية تكون لما لا يمكن إحرازه وحصره مثل الأرض والبلد تقول هو يحمي البلد والأرض وإليه حماية البلد، والحفظ يكون لما يحرز ويحصر، فيقال هو يحفظ دراهمه ومتاعه ولا يقال هو يحمي دراهمه ومتاعه ولا يحفظ الأرض والبلد، وأمّا الجوار فهو من المجاورة فيتعلَّق بالأشخاص، وفيه معنى الحفظِ بقوّة ومنعة من المجير وأنَّه ينصره إذا استغاث به، لقربِه منه، فالجوار أبلغ في قوّة المنعة والإغاثة من الحفظ والحماية، كما أنّه يتعلَّق بالأشخاص والذّوات لا بالأشياء[2].

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 153، والإسكافي، درة التنزيل ص: 947 - 949، والقونويّ، حاشيته على تفسير البيضاوي: 13/ 600.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات، ومحمّد جبل، المعجم الاشتقاقي: (جور، حفظ، حمى)، وأبو هلال العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 207.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والثلاثون،
سورة المؤمنون من الآية 64 إلى سورة النور الآية 38
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والثلاثون، سورة المؤمنون من الآية 64 إلى سورة النور الآية 38
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 36 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-79-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 36 : المجلد السادس والثلاثون، سورة المؤمنون من الآية 64 إلى سورة النور الآية 38.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-78-5
*
إذن طباعة رقم:MC-03-01-8956803 بتاريخ 2024/11/26م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»